اقول ان اسم الفقيه لم يكن متناولا للمفتاوى فى الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق
العموم والشمول وبطريق الاستتباع ولكان اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فشا من هذا
التخصيص تلبيسى بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علوم الاخرة واحكام القلب ووجوه
على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب
الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب
بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع به **اللفظ الثانى** العلم
وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وبايآته وافعاله فى عباده وخلقه حتى انه لما مات
عمر قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله
وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شمروه فى الاكثر عن يشتغل بالمناظرة مع التحصر
فى المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفاضل فى العلم ومن لا يماثله
فى ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفة ولا يعدونه فى زمرة اهل العلم وهذا
ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضايل العلم والعلماء اكثره فى العلم وباحكامه
وباعماله وصفاته وقد صار الان يطلق على من لا يحيط بشئ من علوم الشرع فضلا عن
رسوم جدلية فى مسايل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار
المذاهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم **اللفظ الثالث**
التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق الجادلة والمحاظة
عما تقتضيه الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف
الالزامات حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء
بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منذ شئ فى العصر الاول
بل كان يشد النكير منهم على من يفتح بابا من الجدل واطرادات فاما ما يشتمل عليه القرآن
من الادلة الظاهرة التى تسبق الاذهان الى قبولها فى اول السماع فلقد كان ذلك
معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم الجلى وكان التوحيد عندهم عبارة عن احد
اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهمه لم يتصف به وهو ان يرى الامور كلها من الله

رؤية تقطع

رؤية تقطع التفاتة من الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف
احدى ثمراته التوكل كما سياتى بيانه فى كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك
الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابى بكر الصديق رض
لما قيل له فى مرضه ان نطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضنى وقول اخر لما مرض فقيل
له ما قال لك الطبيب فى مرضك قال قال انى فعال لما اريد وسياتى شواهده فى كتاب
التوكل انشاء الله تعالى فكان التوحيد جوهر نفيس وله قشران احدهما ابعد من اللب من الاخر
فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة المحاسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول
ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا ايضا توحيد امنا قضا للتثليث الذى يصرح به النصارى
ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره **القشر الثانى** ان لا يكون فى القلب
مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق
به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر من تشويش المبتدعة
والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاتة عن الوسايط
وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج بهذا التوحيد اتباع الهوى فكل
متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده فقد قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه

وقال صلى الله عليه وسلم ابغض الاله عبد فى الارض عند الله هو الهوى على التحقيق
من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة
الى دين اباءه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوف احد المعانى التى يعبر عنها
بالهوى ويخرج من هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى
ان الكل من الله لا يسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من
مقامات الصديقين فانظر اذا ما حول وباى قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما ان التمرج
والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك
كافلاس من يصيح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)